مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ١١: ٩–١٠؛ ١١: ٣٢–٤٠)

يا إخوةُ بالإيمانِ نَزَلَ إبرهيمُ في أرضِ الميعاد نزولَهُ في أرضٍ غريبةٍ وسكنَ في خيامٍ معَ إسحق ويعقوبَ الوارثَيْنِ معهُ للموعِدِ بعينهِ* لأنَّهُ انتظرَ المدينةَ ذاتَ الأسُسِ التي اللهُ صانِعُها وبارئُها* وماذا أقولُ أيضًا. إنَّهُ يضيقُ بي الوقتُ إن أخبرتُ عن جِدعونَ وباراقَ وشمشون ويفتاحَ وداودَ وصموئيلَ والأنبياءِ* الذين بالإيمانِ قهروا الممالكَ وعملوا البرَّ ونالوا المواعِدِ وسدُّوا أفواهَ الأسود* وأطفأوا حدَّةَ النارِ ونجوا من حدِّ السيفِ وتَقَوَّوا من ضُعفٍ وصاروا أشدَّاءَ في الحربِ وكسروا معسكراتِ الأجانب* وأخذت نساءٌ أمواتَهنَّ بالقيامة. وعُذِّبَ آخرون بتوتيرِ

أحد النسبة

«فجميعُ الأجيالِ من إبرهيمَ إلى داودَ أربعةَ عشرَ جيلاً. ومن داودَ إلى سَبيِ بابلَ أربعةَ عشرَ جيلاً. ومن سَبيِ بابلَ إلى المسيحِ أربعةَ عشرَ جيلاً» (متى ١:١٧).

تُطلق الكنيسة المقدَّسة اسم «أحد النسبة» على الأحد الذي يسبق عيد ميلاد ربنا يسوع ويُقرأ في هذا اليوم المقطع الإنجيلي (متى ١:١–١٧) الذي يعدِّد أسماء السلالة التي وُلد منها الطفل يسوع، من إبرهيم حتى «يسوع الذي يُدعى المسيح». وقد قسَّم الإنجيلي متى هذه الأسماء إلى ثلاث مجموعات مُبرزاً أهميَّة إبرهيم وداود وسبي بابل بالمقارنة مع الرب يسوع المسيح. «كتابُ ميلادِ يسوعَ المسيحِ ابنِ داودَ ابنِ إبرهيمَ» (متى ١:١).

يبدأ الإنجيلي متى السلالة بإبرهيم، وليس بآدم كما يفعل الإنجيلي لوقا (لوقا ٣:٣٨)، وذلك لكون متى يكتب إنجيله إلى مسيحيين من أصل يهودي. فهو يعرف أهميَّة إبرهيم بالنسبة لليهود «أبناء إبرهيم»، وذلك لكي يؤكد لهم ان الطفل المولود في بيت لحم هو من سلالة إبرهيم وهو تحقيق الوعد الذي أعطاه الله لإبرهيم بالخلاص. أهميَّة إبرهيم تكمن في الإيمان والثقة التي وضعها في الله دون أن يكون لديه برهان على حقيقة إعلانات الله له. «فآمنَ إبرهيمُ باللهِ فحُسِبَ له برًّا» (رو ٤:٣). كان إبرهيم في حاران، في بلاد ما بين النهرين، وقال له الرب «اذهب من أرضِكَ ومن عشيرتِكَ ومن بيتِ أبيكَ إلى الأرضِ التي أُريكَ. فأجعلُكَ أمَّةً عظيمةً وأُباركَكَ وأُعظِّمُ اسمكَ، وتكونُ بركةً... فذهبَ أبرامُ كما قالَ لهُ الرَّبُّ» (تكوين ١٢:١–٤). لم يُسائل إبرهيم الرب. الأهم أنه انطلق إلى أرض لم يكن يعرف عنها شيئاً. لم يكن لديه كُتب عن البلاد الأخرى، ولم يكن هناك إنترنت ولا أقمار اصطناعية ليعرف إلى أين ينطلق وطبيعة البلد الجديد. وَثِقَ بالله وسار على بركاته.

مع إبرهيم تُقطع كل صلة مع كل ما قبله لتبدأ مرحلة جديدة، وكأننا نبدأ من الصفر، من لا شيء، نحو تحقيق الوعد بالخلاص. مع إبرهيم ننتقل من مرحلة الوعد بين الله والبشر بالخلاص إلى مرحلة العهد والميثاق بينهما: «وأُقيمُ عهدي معهُ عهداً أبدياً لِنسله من بعده... وقالَ بذاتي أقسمتُ يقولُ الرَّبُّ. إني... أُباركُكَ مُباركةً وأُكثِّرُ نسلَكَ... **ويتبارك** في نَسلِكَ جميعُ

العدد ٢٠٠٤/٥١

الأحد ١٩ كانون الأول

أحد النسبة

تذكار القديس الشهيد بونيفاتيوس

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر السابع

الأعضاءِ والضربِ ولم يقبلوا بالنجاةِ ليحصلوا على قيامةٍ أفضل* وآخرونَ ذاقوا الهُزءَ والجَلْدَ والقُيودَ أيضًا والسِّجن* ورُجموا ونُشروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيفِ وساحوا في جُلودِ غَنَمٍ ومَعَزٍ وهم مُعوَزون مُضايقون مجهودون* ولم يكن العالمُ مستحقًّا لهم. وكانوا تائهينَ في البراري والجبالِ والمغاورِ وكهوفِ الأرض* فهؤلاءِ كلُّهم مشهودًا لهم بالإيمانِ لم ينالوا المواعِد* لأنَّ اللهَ سبقَ فنظرَ لنا شيئًا أفضَلَ أن لا يكملوا بدونِنا.

الإنجيل

(متى ١:١-٢٥)

كتابُ ميلادِ يسوعَ المسيحِ ابنِ داودَ ابنِ إبرهيمَ* فإبرهيمُ وَلَدَ إسحقَ وإسحقُ وَلَدَ يعقوبَ ويعقوبُ وَلَدَ يهوذا وإخوتَهُ، ويهوذا وَلَدَ فارَصَ وزارَح من تامارَ، وفارَصُ وَلَدَ حصرونَ وحصرونُ وَلَدَ أَرام، وأرامُ وَلَدَ عَمّيناداب وعَمّيناداب وَلَدَ نَحْشونَ ونَحْشونُ وَلَدَ سَلْمونَ، أُمَمِ الأرض، مِن أجلِ أنَّكَ سمعتَ لِقولي» (تكوين ١٩:١٧، ٢٢: ١٦-١٨). إذاً، مع إبرهيم تبتدئ حكاية الخلاص فعلياً، أو بالأحرى نبتدئ تلمُّس الخطوات المحسوسة لمخطط الله الخلاصي.

بعد إبرهيم نقرأ في الكتاب المقدس عن إسحق ويعقوب وأولاده، يهوذا ويوسف وإخوتهما، وذهابهم إلى مصر وعيشهم في الجاه ثم استعبادهم من فرعون مصر. كما نقرأ عن خروج الشعب العبراني من أرض العبودية إلى بريَّة سيناء حيث أعطى الله موسى الشريعة والفرائض والشرائع. وكان لما وصل موسى بالشعب إلى حدود أرض الموعد قال للشعب: «فالآنَ يا إسرائيلُ اسمعِ الفرائضَ والأحكامَ التي أنا أُعلِّمُكم لِتعملوها لكي تحيوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرضَ التي الرَّبُّ إلهُ آبائِكم يُعطيكم... انظُر. أنا واضعٌ أمامكم اليومَ بركةً ولعنةً. البركةُ إذا سمعتُم لوصايا الربِّ إلهِكم التي أنا أُوصيكُم بها اليوم. واللعنةُ إذا لم تسمعوا لوصايا الرَّبِّ إلهِكم وزُغتُم عن الطريقِ التي أنا أُوصيكم بها اليوم لتذهبوا وراءَ آلهةٍ أُخرى لم تعرفوها... وتأتي عليكَ جميعُ هذه اللعناتِ تتَّبعُكَ وتُدرِكُكَ حتى تَهلِكَ لأنَّكَ لم تسمع لِصوتِ الرَّبِّ إلهِكَ لِتحفظ وصاياهُ وفرائِضهُ» (تثنية ٤:١؛ ١١:٢٦-٢٧؛ ٢٨:٤٥). اجتاز الشعب نهر الأردن وبدأ التوسع في الأرض الموعودة لإبرهيم. ومن يقرأ سِفر صموئيل الثاني يقتنع بأن الملك داود قد بسط سيطرته على كل الأرض وحقق المملكة الموعودة. وكأننا مع داود نصل إلى قمة تحقيق وعود الله بالأرض.

لكن الملكيَّة التي طالب بها الشعب العبراني كانت سبباً لهلاكه. فعندما طالب الشعب صموئيل النبي أن يمسح شاول (الملك قبل داود) ملكاً عليهم: «فالآن اجعل لنا ملِكاً يقضي لنا كسائرِ الشعوب» (١ صموئيل ٥:٨)، حمي غضب الرب «لأنهم لم يرفضوكَ أنت بل إيَّايَ رفضوا حتى لا أملكَ عليهم» (١صموئيل ٧:٨). كانت الملكية بداية النهاية بالنسبة للشعب، لأن الملوك أدخلوا عبادة الآلهة الغريبة إلى أرض إسرائيل ولم يحكموا بالعدل للفقير والغريب والأرملة. لذلك نرى الأنبياء مع داود والملوك بعده ينشطون ليقولوا للملك وللشعب ان اللعنات التي حذَّرهم منها موسى سوف تأتي عليهم إن لم يستقيموا، لكنهم لم يسمعوا لهم.. فكان أن أرسل الله الجيش البابلي وسبى الشعب، أخذهم أسرى إلى بلاد بابل. وعاد الشعب في سبي بابل إلى نقطة البداية، نقطة الصفر من جديد.

أثناء السبي وبعده ينشط أيضاً الأنبياء إنما ليشدِّدوا الشعب، فنراهم يقولون للشعب اليائس أن لا يفقدوا الرجاء فإن الرب آتٍ لخلاصهم ولكن هذه المرَّة سوف لن يكون المخلِّص ملكاً أرضياً مثل داود بل ملك سماوي. «ترنَّمي وافرحي يا بنتَ صِهيون لأنّي هأنذا آتي وأَسكُنُ في وسَطِكم يقولُ الرب. فيتَّصِلُ أُمَمٌ كثيرةٌ بالرَّبِّ في ذلِكَ اليومِ ويكونون لي شعباً فأَسكُنُ في وسَطِكِ فتعلمينَ أنَّ ربَّ الجنودِ قد أرسلني إليكِ. والرَّبُّ يرِثُ يهوذا نصيبهُ في الأرضِ المقدَّسةِ ويختارُ أورشليمَ بعدُ» (زكريا ١٠:٢-١٢). هذه النبوءات تحققت بالرب يسوع، الملك السماوي، الذي تجسَّد ليخلِّص شعبه وليُقيم ملكوت السموات وليس مملكة أرضيَّة.

خلاصة القول ان الوعد بالخلاص حصل مع إبرهيم وتحقَّق بيسوع، ومع داود لدينا صورة للملك الآتي، والسبي هو صورة الذين لم يُقيموا الله ملكاً على قلوبهم وابتعدوا عنه.

وسلمونُ وَلَدَ بُوعَزَ من راحابَ وبُوعَزُ وَلَدَ عوبيدَ من راعوثَ وعوبيدُ وَلَدَ يسَّى ويسَّى وَلَدَ داوُدَ الملكَ* وداوُدُ الملكُ وَلَدَ سليمانَ مِنَ التي كانت لأُريَّا، وسليمانُ وَلَدَ رَحَبْعامَ ورَحَبْعامُ وَلَدَ أبيَّا وأبيَّا وَلَدَ آسا* وآسا وَلَدَ يوشافاطَ ويوشافاطُ وَلَدَ يورامَ ويورامُ وَلَدَ عُزِّيَّا، وعُزِّيَّا وَلَدَ يوتامَ ويوتامُ وَلَدَ آحازَ وآحازُ وَلَدَ حِزقِيَّا، وحِزقِيَّا وَلَدَ مَنسَّى ومَنسَّى وَلَدَ آمونَ وآمونُ وَلَدَ يوشيَّا، ويوشيَّا وَلَدَ يَكُنْيَّا وإخوتَهُ في جلاءِ بابل* ومن بعد جلاءِ بابل يَكُنْيَّا وَلَدَ شألتئيلَ وشألتئيلُ وَلَدَ زَرُبابلَ، وزَرُبابلُ وَلَدَ أبيهودَ وأبيهودُ وَلَدَ أليَاقيمَ وأليَاقيمُ وَلَدَ عازورَ، وعازورُ وَلَدَ صادوقَ وصادوقُ وَلَدَ آخيمَ وآخيمُ وَلَدَ أليهودَ، وأليهودُ وَلَدَ أليعازارَ وأليعازارُ وَلَدَ متَّانَ ومتَّانُ وَلَدَ يعقوبَ، ويعقوبُ وَلَدَ يوسفَ رجلَ مريمَ التي وُلِدَ منها يسوعُ الذي يُدعى المسيح* فكلُّ الأجيال من إبرهيمَ إلى

الرسالة إلى ديوغنيتوس

«يسكن المسيحيون أوطانهم، لكن كمن لا وطن لهم. يشتركون في كل شيء كمواطنين، ويحتملون كل شيء كغرباء. كلّ غربةٍ وطنُهم، وكل وطنٍ غربتُهم... يوجدون في الجسد، بيدَ أنّهم لا يحيون بحسب الجسد. يعيشون على الأرض، لكنّ مواطنيّتهم في السماء. يطيعون القوانين المنصوص عليها، لكنّهم يتخطّون القوانين عبر سيرتهم. يحبّون الكلّ، والكلّ يضطهدهم. هم مجهولون، لكنهم يُدانون. هم يُقتلون، لكنّهم يُحيَون. هم فقراء، لكنّهم يُغنون كثراً. هم يفتقرون إلى كلّ شيء، لكنّ كلّ شيء يفيض عنهم... كما حال النفس في الجسد، هكذا المسيحيون في العالم. فالنفس تنتشر في أعضاء الجسد جميعها، والمسيحيّون كذلك في مدن العالم كلّها. تسكن النفس في الجسد، لكنّها ليست من الجسد. والمسيحيون في العالم يسكنون، غير أنّهم ليسوا من العالم».

هذا المقطع الجميل مستقى من نص مسيحيّ قديم اصطلح الدارسون على إعطائه عنوان «الرسالة إلى ديوغنتوس»، ذلك أنّ كاتبه يتوجّه إلى صديق له وثنيّ يحمل هذا الإسم مجيباً عن بعض أسئلته المتعلّقة بالإيمان المسيحي وطبيعة حياة المنتمين إليه. غير أنّ هذا النص ليس رسالةً بالمعنى المتعارف عليه. فهو، رغم ذكر اسم المخاطب فيه، يفتقر إلى العناصر الأخرى التي نعثر عليها عادةً في أدب الرسالة. يضاف إلى ذلك أنّ النص يتّصف بطابع الأدب الدفاعي. فهو، على غرار كتب المدافعين المسيحيين الأوائل كالقديس يوستينوس الشهيد مثلاً (حوالى ١٦٥)، يذود عن المسيحية مبيّناً اختلافها عن الوثنيَّة واليهودية. ولا شيء يمنع أن ننظر إلى النص بوصفه دفاعاً عن المسيحيَّة موجّهاً إلى قارئ وثني، وبواسطته إلى عدد أكبر من المخاطَبين، شأنه في ذلك شأن إنجيل لوقا المكتوب مباشرةً إلى المدعو ثيوفيلس (لو ١:١-٤)، من دون أن يستتبع هذا التخصيص انحصار حلقة المطّلعين على الإنجيل بالمخاطَب المباشر، أي ثيوفيلس.

من المستغرب أنّ أيًّا من الآباء والمعلّمين والمسيحيين القدماء لا يشير إلى نصّ الرسالة إلى ديوغنيتوس، ما يوحي بأنّ هذه الرسالة لم تعرف انتشاراً كبيراً في العصور الأولى. وقد وصلنا النصّ في مخطوط وحيد عُثر عليه في أحد حوانيت بيع الأسماك في القسطنطينية خلال النصف الأول من القرن الخامس عشر. ثم تنقّل المخطوط كثيراً قبل استقراره في مكتبة مدينة ستراسبورغ (فرنسا) في أواخر القرن الثامن عشر. بيد أنّ القصف المدفعيّ على المدينة خلال الحرب الفرنسيَّة - البروسيّة (١٨٧٠-١٨٧١) أدّى إلى احتراقه. وما كان النص ليُحفظ لولا توافر نسختين منه: الأولى تعود إلى العام ١٥٨٠ ونعثر عليها اليوم في مدينة توبنغن (ألمانيا) والثانية تعود إلى السنة ١٥٩٢ وتحتضنها اليوم مدينة لايدن (هولندا).

يرجّح الدارسون أنّ نص «الرسالة إلى ديوغنيتوس» يعود إلى أواسط القرن الميلاديّ الثاني. فالمقطع الذي اقتبسناه أعلاه يُظهر أنّ المسيحية كانت لا تزال عرضةً للإضطهادات والمسيحيون بعدُ قلّةٌ عزيزة في إمبراطوريّة يغلب عليها الطابع الوثنيّ. وقد حدا هذا ببعض

داودَ أربعةَ عشرَ جيلاً ومن داودَ إلى جلاءِ بابل أربعةَ عشرَ جيلاً ومن جلاءِ بابلِ إلى المسيح أربعةَ عشرَ جيلاً* أمَّا مولدُ يسوعَ المسيحِ فكان هكذا: لمَّا خُطبتْ مريمُ أمُّهُ ليوسفَ وُجدتْ من قبلِ أنْ يجتمعا حُبلَى من الروح القدس* وإذ كان يوسفُ رجلُها صِدّيقًا ولم يُرِد أنْ يَشْهَرَها همَّ بِتَخْلِيَتِها سرًّا* وفيما هو متفكرٌ في ذلك إذا بملاكِ الرب ظهَرَ لهُ في الحلم قائلاً يا يوسفُ ابنُ داود لا تخَفْ أنْ تأخذَ امرأَتك مريم. فإنَّ المولودَ فيها إنَّما هو من الروح القدَّس* وستلِد ابنًا فتُسمّيهِ يسوعَ فإنَّهُ هو يخلّصُ شعبَهُ من خطاياهم* وكان هذا كلُّهُ ليتمَّ ما قيل من الرب بالنبي القائل: ها إن العذراءَ تحبلُ وتلد ابنًا ويُدعى عمَّانوئيل الذي تفسيرُهُ الله معنا* فلمَّا نهض يوسفُ من النوم صنع كما أمره ملاك الرب. فأخذ امرأته* ولم يعرفها حتَّى ولدتِ ابنَها البكرَ وسمَّاهُ يسوع.

البحّاثة إلى إلحاق «الرسالة إلى ديوغنيتوس» بالمجموعة المعروفة باسم «الآباء الرسوليين»، وهي تضمّ الكتابات المسيحية ما بعد حقبة الرسل وتلاميذهم المباشرين، أي ما بعد نشوء كتب العهد الجديد. وتتألّف الرسالة إلى ديوغنيتوس، بحسب ورودها في المخطوط المعثور عليه في القسطنطينية، من إثني عشر فصلاً. غير أنّ الدارسين متّفقون أنّ الفصلين الأخيرين أضيفا على الرسالة في مرحلة لاحقة، وذلك بسبب الاختلاف الصريح في الأسلوب مقارنةً بالفصول العشرة الأولى. للأسف، لا نملك أيّ معلومات عن مؤلّف هذه الرسالة. فهو يختفي تماماً خلف نصّه، ولا عن مكان كتابتها. وقد رجّح بعضهم أن تكون مدينة الإسكندرية موطنها. إلاّ أنّ هذه الفرضيّة تبقى من باب التخمين المحض.

يرسم الفصل الأول من الرسالة بنيتها إلى حدّ بعيد. فالمخاطب مهتمّ بمعرفة المزيد عن إله المسيحيين ومبرّر المحبّة الكثيفة التي يعيشها هؤلاء وسبب تأخّر المسيحية في الظهور على مسرح البشريّة، إذا كانت تمثّل الحق فعلاً. ويستهلّ الكاتب جوابه بتبيانه أنّ آلهة الوثنيّين إنّما هي أصنام ماديّة وليست بآلهة، أمّا اليهود فهم، رغم أنّهم يعبدون الإله الحقيقي، غارقون في نواميس وطقوس باتت معها عبادتهم أشبه بالوثنية.

نواة الرسالة هي المقطع المختصّ بوصف حياة المسيحيين وسلوكهم، ومنه استمدينا المقطع المقتبس أعلاه. في هذا المقطع، يصف الكاتب، على نحو أدبيّ جميل، المفارقة التي تمتاز بها سيرة المسيحيين. فهم حاضرون في العالم، قائمون على خدمته، بل هم جوهر بقائه واستمراره. إلاّ أنّهم، بالقوّة ذاتها، مواطنو السماء، يدركون أنّ حياتهم على هذه الأرض ليست إلاّ بدء مسيرة تقودهم إلى الاتّحاد بيسوع مخلّصهم. إثر ذلك، ينتقل الكاتب إلى انتقاد الأفكار الفلسفيَّة عن الله وإظهار بطلانها ممهّداً بذلك لإعطاء جواب عن سؤال ديوغنيتوس عن سبب «حداثة» المسيحيّة بالنسبة إلى الأديان والفلسفات الأخرى. ويتلخّص جوابه بأن الله قصد منذ البدء أن يحقّق خلاص البشر من الموت والخطيئة عبر إرسال ابنه الوحيد. غير أنّ هذا الخلاص لم يتمّ إلاّ بعدما تيّقن الإنسان يقيناً لا يخالطه ريب من عدم قدرته على أن يخلّص نفسه بنفسه. ويختتم الكاتب في الفصل الأخير بدعوة مخاطبه ديوغنيتوس إلى اعتناق المسيحيَّة. فهي وحدها قادرة على أن ترشده إلى درب معرفة الله والتشبّه به، ولا سيّما عبر محبّة الآخرين محبّة لا زغل فيها ومشاركتهم في حمل أثقالهم.

عيد الميلاد

بمناسبة عيد ميلاد ربنا يسوع المسيح بالجسد يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح السبت ٢٥ كانون الأول في كنيسة القديس نيقولاوس في الأشرفية. ويستقبل سيادته المهنئين يومي السبت والأحد في ٢٥ و٢٦ كانون الأول بين الرابعة والسابعة مساءً.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb